

أضواء البيان

@ 20 { إِنْ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ } موافق في المعنى لقوله هنا : فاستحبوا العمى على الهدى . .

ونظير ذلك في المعنى قوله تعالى : { الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْخِوَاةَ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى الْإِيمَانِ } . .

لفظة استحب في القرآن كثيرا ما تتعدى بعلى ، لأنها في معنى اختار وأثر . .
وقد قدمنا في سورة هود في الكلام على قوله تعالى : { مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَاللَّذَاتِ
الْعَمَى } . أن العمى الكفر ، وأن المراد بالأعمى في آيات عديدة الكافر . وما تضمنته هذه
الآية الكريمة ، من أن الهدى يأتي في القرآن بمعناه العام ، الذي هو البيان ، والدلالة ،
والإرشاد ، لا ينافي أن الهدى قد يطلق في القرآن في بعض المواضع ، على الهدى الخاص الذي
هو التوفيق ، والاصطفاء ، كقوله تعالى : { وَأُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ
فَبِهِدَايَاهُمْ أَقْتَدِهِ } . .

فمن إطلاق القرآن الهدى على معناه العام قوله هنا : { وَأَمَّا ثَمُودُ
فَبِهِدَايَاتِنَاهُمْ } أي بينا لهم طريق الحق وأمرناهم بسلوكها ، وطرق الشر ونهيناهم عن
سلوكها على لسان نبينا صالح ، عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام { فَاسْتَحَبُّوا
الْعَمَى عَلَى الْهُدَى } أي اختاروا الكفر على الإيمان بعد إيضاح الحق لهم . .
ومن إطلاقه على معناه العام قوله تعالى : { إِنْ زَرَّاهُ سَبِيلَ } دليل
قوله بعده { إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا } ، لأنه لو كان هدى توفيق لما قال : {
وَإِمَّا كَفُورًا } . .

ومن إطلاقه على معناه الخاص قوله تعالى : { فَبِهِدَايَاهُمْ أَقْتَدِهِ } . وقوله تعالى :
{ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى } . وقوله : { مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ
الْمُهْتَدِ } . .

وبمعرفة هذين الإطلاحين تيسر إزالة إشكال قرآني : وهو أنه تعالى : أثبت الهدى لنبينا
صلى الله عليه وسلم في آية ، وهي قوله تعالى : { وَإِنْ زَرَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ
مُسْتَقِيمٍ } ونفاه عنه في آية أخرى وهي قوله تعالى : { إِنْ زَرَّكَ لَتَهْدِي مَنْ
أَخْرَجْتَهُ } . .